الحج النسك والمعنى

بقلم د. إبراهيم علي عبد الله

يقول الله تعالى: (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَائِسَ الْفَقِيرَ)الحج٢٧-٢٨.

جاءت رسالة الإسلام حاملة معها كل ما يرتقي بالإنسان إلى درجة الكمال الروحي والخلقي، فشرع الله الحج كغيره من العبادات التي تحقق معنى العبودية الخالصة لله تعالى، فبعض الناس يتصور الحج على أنه عبادة ونسك مقصود لذاته فحسب، ولكن الحكمة الإلهية جعلت من الحج وسيلة لتحقيق المعاني والقيم التربوية التي تعود على الحاج وهو يؤدي نسكه طاعة وقربة لله.

وهذه المعاني هي المقاصد والأهداف التي ينبغي للحاج أن يتميز بها خلقًا وسلوكًا لأنها ثمرة العبادة التي تجني بعد الغرس، بل إن هذه المعاني والقيم هي المقصودة في هذا المؤتمر الجامع، وهي من أكبر المنافع وأعظمها التي يشهدها الحجاج، فأراد الله من خلال هذه الشعيرة أن تتحلى الأمة بجملة من القيم والمعاني،ولنا أن نقف عند واحدة من هذه القيم.

قيمة الصبر:

الصبرقيمة عظيمة من القيم التي دعت إليها كل الشرائع الربانية، يقول الله تعالى مطالبًا نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) الأحقاف٣٥

وقال أيضًا: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً)المعارج٥

وخاطب الله عبادَه المؤمنين بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) آل عمران٢٠٠

وقال جل من قائل: (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ) الشورى٤٣

ويقولَ النبيَ صلى الله عليه وسلم: (ما أعطي المرء عطاء أوفر من الصبر) البخاري ، فالصبر قيمة يستعان بها على جميع الطاعات، قال تعالى: (وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) البقرة٤٥

وقال أيضًا: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ للتَّقْوَى) طه١٣٢

وَلأهمية الصبر قسمه العلماء إلى أقسام : فقالوا الصبر في طاعة الله، الصبر على ترك المعصية الصبر عند البلاء، الصبر في السراء والضراء، فهذه الأنواع من الصبر تتكامل جميعها في هذا المؤتمر الجامع الذي ليس له مثيل ، فالحج شعيرة ونسك يختلف في أدائه عن كل العبادات التي كلف الله بها العباد،فهو قوامه الترحال والسفر، والسفر يسفر(أي يكشف) عن معادن الناس على مدى صبرهم وتحملهم المشاق والصعاب وحثهم على ترك الراحة والترف وإيثار الآخرين على النفس، والإيثار من القيم التربوية الفاضلة التي اندثرت في كثير من مجتمعات الأمة الإسلامية، ففي الحج يكون لقيمة الإيثار الأثر الأكبر والأقوى في ترابط الحجاج وتراحمهم وتوادهم لبعضهم بعضًا ولا يختصر ذلك في موسم الحج فحسب ولكن ينبغي أن تكون وسيلة من وسائل تزكية النفس امتثالاً لقوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) الشمس٩-١٠

ففي هذا المؤتمر الذي يتوافد إليه الناس من كل فج ملبين دعوة الخليل عليه السلام تتجلى فيه أروع قيم الصبر في طاعة الله تعالى.

فإبراهيم عليه السلام الذي أمره الله تعالى بأن يؤذن في الناس بالحج جاء على هذا البيت عبر السفر والترحال الطويل، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (جاء إبراهيم بأم إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابًا به تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له آلله الذي أمرك بهذا قال نعم قالت إذًا لا يضيعنا، فانطلق إبراهيم) البخاري

في هذه القصة نجد جملة من المعاني التي يراد تعميقها في نفوس الحجاج، وهي الصبر والتوكل وتحمل الصعاب، وهم يفدون إلى الديار المقدسة من خلال هذا السفر الطويل طلبًا للرضا وضيوفًا عند الرحمن.

كـــلام مـــن درر

هاجر خليل محمد

قال يحيى بن معاذ : القلوب كالقدور تغلي بما فيها،وألسنتها مغارفها فانظر إلى الرجل حين يتكلم: فإن لسانه يغترف لك مما في قلبه، حلو ،حامض،عذب،أجاج، ويبين لك طعم قلبه اغتراف لسانه.

قال معروف: كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله عز وجل، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها:أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشبع: إن القوم لما شبعت بطونهم، جمحت بهم نفوسهم إلى الدنيا.

قال ابن القيم رحمه الله:كل ما كان في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم، وكل ما كان للعبد من ذم فهو من ثمرة الجهل. وقال أيضا: ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين والالتحاق بعالم الملائكة لكفى به شرفًا وفضلاً.

قال الذهبي: إن العلم ليس بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع.

الصمت إجابة بارعة لا يتقنها الكثيرون الألفاظ هي الثياب التي ترتديها أفكارنا ، فيجب ألا تظهر أفكارنا في ثياب رثة بالية

الانتصارات الوحيدة التي تدوم أبدًا وتترك وراءها أسى هي انتصاراتنا على أنفسنا.

الضمير هو الصوت الخفي الذي يحذرنا بأن هنالك من ينظر إلينا.

المتفائل إنسان يرى ضوءًا غير موجود ، والمتشائم أحمق يرى الضوء فينكره.

افعل ما تشعر من أعماق قلبك بأنه صحيح، لأنك لن تسلم من الانتقاد بأية حال من الأحوال.

نماذج سلوكية

د. يوسف عثمان محمد

إعداد القوة «٢»

تقدم أن قوة الشيء تتحدد بقوة العناصر المكونة له ودرجة تماسك العناصر وأن عناصر الأمة هم أفرادها، وعندما كانت هذه العناصر قوية، وكانت متماسكة تماسكًا قويًا تحقق الأنموذج الكامل في الحياة الإنسانية، فما السر من وراء قوة لبنات الأمة؟ وما السر من وراء تماسكها ذلك التماسك الذي عجز الشيطان أن يخترقه؟

أولاً- قوة الفرد المسلم: ليس سرًا ما وقع على الرعيل الأول من عذاب وإرهاب كان خليقًا بأن يلين الحديد ويهد الجبال، ومع ذلك لم يحرك واحد منهم قيد شعره عن دينه، حيث كانوا أسطورة في قوة الثبات على الدين، كان من أسباب هذه القوة :

١- صفاء العقيدة:حيث كان التوحيد نقيًا صافيًا لا تشوبه شائبة، فليس من إله ولا معبود مع الله، وليس من أحد يستطيع أن يصنع أو يترك شيئًا إلا بمشيئة الله؛ فالعذاب الذي يقع على ظهورهم قد كتبه الله لا يستطيع شخص أن يحول دونه أو يخففه؛ وما دام كذلك فإنه يقع بردًا وسلامًا على هذه الأجسام التي تجردت لله، وهذا العذاب يثقل ميزان الحسنات ويرفع الدرجات؛ وما دام كذلك فليتضاعف ليتضاعف ثقل الموازين، وتعلو الدرجات

٢- قوة الاستمساك بالعقيدة: مع هذا الصفاء الناصع للعقيدة، وسلامتها من الغبش كان الأفراد يعضون عليها بالنواجز، فترى الواحد منهم يفضل أن يقذف في النار على أن يعود إلى الكفر الذي أنقذه الله منه، ويستعذب الشدائد في سبيل عقيدته، فلا تزحزحة الشدة بل تزيده التصاقًا بها وإصرارًا عليها، وجهادًا في سبيلها، وهكذا وصف أبو سفيان» رضي الله عنه» الصحابة لقيصر الروم عندما ساله أيرجع واحد من أصحابة من سخط عليه فأجاب بالنفي، وهكذا علق قيصر الروم بأن بشاشة الإيمان حين تخالط القلب فإنه لا يرضى بها بديلاً.

من هذا الوضوح الناصع للعقيدة، والثبات المستميت في سبيلها يتجلى السر من وراء الإجابة الشافية الثابتة ثبات الحق في وجه طاغية الفرس، الذي كان يرمي إلى إرهاب سفير الأمة المسلمة وتخويفه بأبهته وصولجانه وحشمه، وإلى ترغيبه بما يملك من زخرف الدنيا، ولكن قوته لم تكن شيئًا في عين ربعي بن عامر، ودنياه لا تزن في ميزان الحق الذي يبشر به ربعي بن عامر، ولذلك أجاب ربعي علن السؤال عن سبب مجيئهم أنه رحمة من الله لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

فهل تعود أجيالنا أمة وقادة إلى حال سلفها في قوة العقيدة وصفائها وإلى قوة الاستمساك بها لنكون قد بدأنا السير في الطريق إلى الله.

نسأل الله أن يمنّ علينا بذلك، وأن يردنا إليه ردًا جميلاً إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على خير خلق الله أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

اكتشف علماء سويديون أن تعلم لغة أجنبية يزيد حجم الدماغ

وتوصل العلماء إلى اكتشافهم في إطار بحث أوسع باستخدام تقنيات كتصوير الدماغ بالرنين المغناطيسي والفيزيولوجيا الكهربائية، للتوصل إلى فهم أفضل للفوائد المعرفية التي تتحقق من تعلم لغة ثانية.

تأثير ملحوظ

قال العلماء إن هذه التكنولوجيات لا تساعد في تحديد ما إذا كان الشخص يحتاج إلى عملية جراحية في ركبته، أو أن ضربات قلبه ليست منتظمة فحسب، بل تكشف عمًا يحدث لأدمغتنا عندما نسمع لغة أخرى، ونفهمها ونتكلمها ايضًا.

وأظهرت دراسة العلماء السويديين لعمل الدماغ أن تعلم لغة أجنبية يمارس تأثيرًا ملحوظا على الدماغ، إذ تعلم مجندون شباب في الجيش السويدي اللغة العربية أو الروسية أو الدارية في دورات مكثفة، فيما ثابر افراد مجموعة مراقبة أخرى من طلاب الطب وعلم المعرفة على دراسة مواضيع لا تقل صعوبة، لكن ليس بينها تعلم لغات أجنبية.

ازدادت حجمًا

وأظهر تصوير عمل الدماغ بالرنين المغناطيسي أن مناطق معينة من أدمغة طلاب اللغات ازدادت حجمًا، في حين تكوين أدمغة الطلاب الآخرين في مجموعة المراقبة لم يطرأ عليه أي تغير.

ولا يقل اثارة للاهتمام اكتشاف العلماء أن متعلمي اللغة الأجنبية، الذين ازداد حجم أدمغتهم في منطقة الحصيْن ومناطق من قشرة الدماغ، يتمتعون بقدرات على تعلم اللغات افضل من الأشخاص الذين اتسع لديهم حجم منطقة الحركة من القشرة المخية.

ويعني هذا أن مناطق الدماغ التي ازدادت حجمًا ترتبط بقدرة المتعلم على تعلم لغة ثانية، وأن زيادة حجم الدماغ تتفاوت حسب أداء المتعلم. كما أظهر البحث أي المناطق من الدماغ تكون نشيطة خلال القيام بمهمة محددة في عملية التعلم.

أكثر مرونة ذهنيًا

ونقلت صحيفة غارديان عن اليسون ماكاي، استاذة الالسنيات في جامعة جورجتاون الاميركية، قولها إن نتائج البحث تساعد في تفصيل أساليب تعليم اللغات الأجنبية على مقاس قدراتنا المعرفية.

ويؤكد العلماء أن الأشخاص الذين يتكلمون أكثر من لغة بطلاقة يتمتعون بذاكرة أقوى، ويكونون أكثر ابداعًا من الناحية المعرفية، وأكثر مرونة ذهنيًا من الناطقين بلغة واحدة فقط.وتشير دراسات كندية إلى أن الناطقين بلغة واحدة يُصابون بمرض الزهايمر قبل الذين يتكلمون أكثر من لغة.

ويعني هذا أن معرفة لغة أخرى تساعد في البقاء أصحاء معرفيًا وذهنيًا، حتى سنوات متقدمة جدًا من العمر.